منطقة (الحواشب)..

بلد يحكي عظمة التاريخ والإنسان

مطالبات بحماية الآثار لأهميتها وإعلان بلاد الحواشب منطقة أثرية

«الأمناء» تقرير/ أحمد فضل مطرف:

تعتبر (الحواشب) إحدى مدن الجنوب العربي بمديرية المسيمير، كانت سابقا مركزاً لسلطنة الحواشب، وتتميز الحواشب بمكانتها التاريخية وعمقها الحضاري وموروثها الأثري والشعبي الذي رفد عراقة وأصالة التاريخ على مر العصور والأزمان، كما تعتبر الحواشب من أكثر المناطق التي رفدت الحضارة اليمنية عبر المراحل والحقب الزمنية المتعاقبة، فمن على تلال وجبال وسهول وروابي هذه المنطقة ذات الإرث الحضاري المتراكم والتاريخ العريق تتناثر أقدم وأروع المعالم والتي يرجع تاريخ البعض منها إلى الحقبة والعصور القديمة.

وأكدت عدد من البحوث التاريخية وجود قطع أثرية في الكثير من مناطق الحواشب كالتماثيل والآدمية المصنوعة من البرونز أو من القطع الذهبية وغيرها من تماثيل الجذوع الرخامية والخشبية والمنحوتات على الصخور والجدران التي نقشت غالبيتها بالخط المسند وغيره من الخطوط الحميرية وكتابات الحقب الزمنية الغابرة، وأكدت تلك البحوث وجود العديد من المغارات والكهوف على سفوح الجبال.

وأشار عدد من المؤرخين بالمجال التاريخي والإرث الحضاري إلى وجود أقوام مكثوا وسكنوا خلال القرون الغابرة وفي مختلف العقود الزمنية الماضية أرض الحواشب ودلائلهم ما تزال شاهدة وقائمة وحية حتى اللحظة، ويتمثل بوجود نحوت على صدر الجبال الصماء وهو ما يعطي برهانا دامغا وواضحا، بل ويؤكد وجود أقوام قطنوا في تلك الأماكن والمرتفعات والجبال إبان العصور الغارطة.

ولكي نؤكد للقارئ حقيقة ما ذهب إليه المؤرخون القدامى حول تاريخ بلاد الحواشب التليد بعظمة الإنسان وعمقها الحضاري الأصيل وموروثها الأثري، نستعرض ما قاله الباحث محمود ناصر الشيبي، أحد المهتمين في كتابة التاريخ، وله عدد من المؤلفات هي (كتاب لمعة الكواكب منذ حياة المؤرخ الهمداني من٨٩٣هـ إلى ١٩٦٧م)، وكتاب (تاريخ حروب الوحدة اليمنية منذ ١٩٦٠م إلى ٢٠١٨م) وهو قيد الإخراج.

وللشيبي جهود أخرى في تجميع صور من القطع الأثرية التي حصل عليها أثناء مواكبة الرحلة، وهي قطع أثرية كالتماثيل والتحف والحلي والأحجار الكريمة والكتابات وتصوير بقايا المباني القديمة لا يعرف لأي حقبة زمنية بل ستثبت الدراسات العلمية المختبرية ذلك.

ويقول الشيبي: «الحواشب قديمة في التاريخ لأهمية موقعها الهام، وهي تعد طريقا لمرور القوافل التجارية القديمة للجزيرة العربية ومنها الطرق الرئيسة وهي: المسيمير - وتربط ماوية تعز بعدن - والملاح، تربط الحرور في أبين وتربط الضالع بعدن، وكرش تربط تعز بعدن. بالإضافة إلى وفرة الوديان والغيول كوادي تبن وورزان، والجبال غنية بالمعادن (المناجم) وهي جبال تمتد من جبال منيف وأمساده وساعم إلى جبال حذوه الواقعه فيما بين الملاح المسيمير.. وهذا العوامل الثلاث جعلت من الإنسان القديم حضوره وسكنه في هذه البلاد في أقدم سنوات التاريخ».

وأضاف الشيبي: «إنه يعجبني وأهوى مشاهدة القطع الأثرية للمعرفة ولتخيل مشاهدة الإنسان القديم، وفي سنة ٢٠٠٩م كانت البداية في ظهور محتويات أثرية عن طريق الصدفة في منطقة توقف بها المؤرخ الهمداني المولد سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م بهدف الاستراحة ليتناول وصف القبائل الساكنة وتذكر بعض ما ذكره المؤرخ الهمداني بتحقيق محمد علي الاكوع وتشير كتبه إلى أن الحواشب هي بلاد السكاسك، وذكر الأمير أحمد فضل العبدلي (القمندان) مؤلف كتاب هدية الزمن، وذكر الهمداني قرى وقبائل في المسيمير كالواقديين والحُيب والجنيب، ويبدو أنها تقع في جنوب مديرية المسيمير غربي وجنوب الراحة، وذكر قرى في رمال الحرور القريبة من زنجبار وجعار أبين، وذكر قرى وقبائل في قرى وحدود الازرقي وردفان شمال مديرية الملاح بالحواشب، وذكر قرى وقبائل كرش وهي عامرية أعمور في بلاد السكاسك».

واستطرد: «تطرقنا إلى ذكر ما نطلقه حاضراً باسم المديريات ولكن نحتفظ بأسماء القرى والجبال والشعاب الأثرية التي ذكرت في كتب الهمداني، نكتفي بذلك ومزيداً من التفاصيل سنوردها في كتيب سيصدر عن الآثار قريباً إن شاء الله مع جملة من الإحصائيات لن يذكرها المؤرخ الهمداني».

وتحدث حول الاعتداءات التي طالت هذا الموروث الأثري في بلاد الحواشب قائلا: «هناك اعتداءات طالت هذا الموروث، حيث هبت جموع من الناس للقيام بعمل الحفريات في المباني القديمة ونبش القبور، حيث كان الناس في حالة عوز وفقر لا يدركون الأهمية التاريخية لقيمة الآثار التي هي أغلى من كل الأموال.. إنهُ عبث دون وازع ضمير وغض الطرف السلطات المحلية والأمنية».

وأضاف: « أزداد الاعتداء على المواقع المقابر الفسيحة والمباني القليلة وهي مباني بشكل متواضع، ويبدو أن الإنسان عاش في أقدم الأزمنة الغابرة، حيث سكن تحت قطع الأخشاب والأشجار (العشش)، بل إن كميات من الآثار بيعت بعد إخراجها، حيث تم بيعها على الطرقات وتداولت أخبار الشارع أن كميات من الآثار بيعت لأفراد من يافع والشمال. وحول هذه الاعتداءات تم إبلاغ الجهات المختصة بالمديرية والمحافظة والصحف عنها ولكن لا مستجيب كما أبلغنا قائد لواء لبوزة سابقاً العقيد علي مهدي سنجاني وقال حينها (اتركوهم ينشغلون بدلاً من المظاهرات الجنوبية)».

وتابع: «وذمة للتاريخ نتمنى من أولئك الذين بيعت لهم أن يشيروا أن الكميات التي تم استخراجها تعود إلى بلاد الحواشب التي هي إحدى مديريات الجنوب العربي».

واستدرك: «بعد حرب ٢٠١٥م وبطريقة جاهلة تم اكتشاف مقبرة كهفية وفيها بقايا عظام إنسان». وتساءل: «هل هذه الهياكل بقايا إنسان أم أنه مومياء البشر؟ وعثرنا فيها أيضا بقايا خزف النخيل على شكل (سلقة) ووجدنا علامات وإشارات يقال بأنها تسمى جروز وهي عبارة عن رموز كان يستخدمها القدامى، ويبدو أن في المغارة أحرف من الكتابة المنقوشة على الجبل، وهذه الجبال كانت سكن لأقوام خلال القرون الماضية».

وأكمل: «وسبق وأن تم العثور على محتويات في الغالب أختام وقوالب لحفظ المحلول مقارنة التشابه به القوالب الموجودة بمعامل ومحلات الذهب في عصرنا الحالي.. حيث أبلغنا الهيئة العامة للآثار والمتاحف وإنزال فريق برفقة د.باطائع بتاريخ ٣/ ٢/ ٢٠٢٠م فالشاب علي عبدالله علي ناجي من سكان مديرية المسيمير قدم للمتحف الوطني بعدن هدية عبارة عن قطع أثرية مختلفة البعض منها محطمة وأخرى عبارة عن جحلة مصنوعة من الفخار، وفريق الهيئة العامة للآثار والمتاحف أبدوا استعدادهم لحماية هذه الآثار».

واختتم الشيبي: «لقد قمت أنا ومجموعة من الشباب بتجميع بقايا المحتويات المخزونة من الآثار وتصويرها والعدد يكفي لافتتاح متحف في المسيمير يحوي هذه المحتويات وهي تشمل تحفا وحليا وتماثيل وكتابات في لوحات وكمية من صكوك العملة النقدية فيها صور ملوك وفيها كتابات عرفت بالمسند الحميري والزبور وغيرها من الكتابات والنجمة السداسية في مراحل مختلفة، والأقل من هذه العملة الصكية في أوائل العصر الإسلامي.. حيث نطالب حماية الآثار لأهميتها، وإعلان بلاد الحواشب منطقة أثرية، وكذا فتح متحف، كما نطالب سرعة التنسيق بين السلطات المحلية ومحافظ المحافظة ومدراء مديريات المسيمير والملاح وكرش والهيئة العامة للآثار بعدن، الإسراع بنزول فريق التنقيب بوسائله المختلفة».